عن الدنيا وانزاكه، والتقلب من حبايل الاغترار واشراكه، والتنقل من حال الي حال، والتاهب للارتحال
ويستدل به علي ذلك الانتحال فمنها قوله ⁂ الموت في كل حال ينشر الكفنا . فذكر الابيات انتهي وقال
يخوض الي المجد والمكرمات ⁂ بحار الخطوب واهوالها . وان ذكرت للعلي غاية
ترقي اليها واهوي لها . وقال في المطمح فقيه مستنبط، ونبيه بقياسه مرتبط،
مانكلم تقليدا، ولاعدي اختراعا وتوليدا، ماتمنت به الاندلس ان تكون كالعراق، ولاحنت الانفس معه
الي تلك الافاق، اقام بوطنه، ومابرح عن عطنه، فلم يشرب ماء الفرات، ولم يقف عشية النمرات
ولكنه اربي علي من من ذلك غذي، وازري علي من هنالك نعلي وحذي، تفرد بالقياس، واقتبس نار
المعارف ابهي اقتباس فناظر بها اهل فاس، ومنف وجد حتي افني الانفاس، وناب الدنيا، وقد تعدت
له بافتن محيا، واهدت اليه اعبق عرف وريا، وخلع الوزارة وقد كسته ملاها، والبسته حلاها، وتجرد
للعلم وطلبه، وجد في اقتنا نخبه، وله تآليف كثيرة، وتصانيف اثيرة، منها الايصال، الي فهم كتاب الخصال
وكتاب الاحكام، لاصول الاحكام، وكتاب الفصل في الاهواء والملل والنحل، وكتاب مراتب العلوم، وغير ذلك
ممالم يبطر مثله من هنالك، مع سرعة الحفظ، وعفاف اللسان واللحظ، وفيه يقول خلف بن هارون
يخوض الي المجد والمكرمات، ولابن حزم في الادب سبق لاينكر، وبديهة لايعلم انه دوي فيها ولا انكر، وقد
اثبت من شعره مايعلم انه اوحد، ومامثله فيه احد، ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضع
وكتب ابو عبدالله بن مسرة الي ابي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر لقضاء اوب من الانس ووطر
اقبل فان اليوم يوم دجن ⁂ الي مكان كالضمير مكني ⁂ لنا بحكم فيه اشهر فن
فانت في ذا اليوم امني مني . وقال في المطمح ان ابن مسرة كان علي طريق من الزهد والعبادة سبق
فيها وانتسق في سلك مقتفيها، وكانت له اشارات غامضة، وعبادة عن منازل الملحدين غير داحضة،
ووجدت له مقالات رديه، واستهاضات مرديه، نسب بها اليه رهق، وظهر له فيها من جل عن الرشد ومن عق
فتتبعت مصنفاته بالحرق، واتسع في استباحتها الخرق، وغدت مهجورة، علي التالين محجورة، وكان له تنميق
في البلاغة وتدقيق لمعانيها، وتزويق لاغراضها وتشييد لمبانيها، انتهي، وهو من نمط الصوفية الذين نتكلم
فيهم والتسليم اسلم، والله بامرهم اعلم، ومن حكايات اهل الاندلس في الانقباض عن السلطان والزاد
من المناسب العذر اللطيف ماحكاه في المطمح في ترجمة الفقيه ابي عبدالله الحسيني اذ قال فصيح اللسان
جزيل البيان، وكان انوفا عن السلطان، لم يتشبث بدنيا، ولم يبك لمبرم عليا، دعاه الامير محمد الي القضا
فلم يجب، ولم يظهر رجاه المحتجب، وقال ابيت عن امامة هذه الامانة الديانة، كما ابت السموات
والارض عن حمل الامانة، اباية اشفاق لا اباية عصيان ونفاق، وكان الامير قدام الوزراء بلجباره او حمل
السيف ان تمادي علي تابيه واصراره، فلما بلغه قوله هذا اعفاه، قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب
ورواية الحديث وكان مامونا ثقة، وكانت القلوب علي حبه متفقة، وله رحلة دخل فيها العراق، ثم عاد الي
هذه الافاق، وعندما اطمانت داره، وبلغ اقصي مداه مداره، قال ⁂ كان لم يكن بين ولم تك فرقة
الابيات انتهي وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن ابي عيسي فانت تري كلام
الفتح قد اضطرب في نسبتها مرة نسبها الي هذا ومرة الي ذاك وهي قطعة عرفها اذاك ومن دعابات
اهل الاندلس وملحهم مايحكي عن ابن ابي الحلي وهو علي بن ابي حلي الكناني ابو الحسن قال لسان الدين
كان شيخا نبيه الحديث حافظا للمسايل الفقهية قايما علي الدولة متضلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكي
انه شاهد من غريب ملحها فيسمعها عليه الطلبة ويتعدون ذلك الي الافتعال والمداعبة حتي جمعوا من ذلك
جزا سموه السالك والمحلي في اخبار ابن ابي حلا فمن ذلك انه كانت له هرة قد دخل البيت يوما فوجدها
بلت احدي يديها وجعلتها في الدقيق حتي علق بها ونصبتها بازاء كوة فار ورفعت اليه الاخري لتصيد فاداها
بانسها فروت راسها وجعلت اصبعها علي فمها علي هيئة المشير بالصمت واشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٦٠٣
قال في الاحاطة ومن اجوبة ملوك الاندلس ان نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الي المرواني صاحب الاندلس
كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني امابعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد
ذلك علي نزار وافحمه عن الجواب وحكي انه كتب الي العبيدي ملك مصر مفتخرا الساني مروان كيف تبدلت
بنا الحال اودارت علينا الدواير ⁂ اذا ولد المولود منا تهللت ⁂ له الارض واهتزت اليه المنابر
ومن غريب مايحكي من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم ان الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن
صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش ملك الروم فبداهم بخراب ضياعها وقطع الشجر
فكتب اليه حريز ليس من اخلاق القدير، الفساد والتدمير، فان قدرت علي البلاد افسدت ملكك ولو كان
الملك في عدد الشمال عددي لم ينزل بي بساحة، ولاتمكن منها براحة، فلما وصلته الرسالة عف، وامر بالكف
وبعث الملك الي مايرغب في الاجتماع به فاسترهن في نفسه عدة من ملوك الروم فاجاب الي ماارتهن
ولما صاروا بالمدينة البيضا وهي تلقة ذرياح غربي طليطلة خرج حريز لابسا لامة حربه يسوق الوحشة
شخصا اوفي بسطة في الجسم والبسالة يتعجبون منه ومن آلات حربه، ويتحدثون بشجاعة قلبه، ولما
وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما اراد النزول عن فرسه ركن رمحه فابصر الملك
منه هيئة تشهد له باعنة حرب وهيبة بجرع للقايها الشجاع، ويكرت فدعاه الي البراز عظيم ابطالهم
فقال له الملك حريزا اريد ان انظر الي مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبادر لايبادر الي الاكفائه

والي

والي بينة علي صدق قولي ان ليس فيهم كفوا هذا رمحي قد ركزته فمن ركب واقتلعه بارادته كان واحدا او عشرة
وركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حتي رام مرغم فعل ذلك مرارا فقال له الملك ارني يا حريز كيف تقلعه
وركب وانا ديدع واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك واكرمه انتهي وكان حريز هذا شاعرا ولما اجازه كاتب
ابن ذي النون الوزير ابو المطرف بن المثني كتب اليه ⁂ يافريدا دون ثاني ⁂ وهلالا في العيان
عدم الراح فجاءت ⁂ مثل دهن البلسان ⁂ فجاوبه حريز وهو يومئذ امير قلعته
يافريدا لايجاري ⁂ بين ابناء الزمان ⁂ جاء من شعرك روض ⁂ جاده صوب البيان
فنعشناها سلافا ⁂ كسجاياك الحسان ⁂ وكان لحريز كاتب يقال له الحميد بن لاطون
فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الي المامون بن ذي النون في شان حصن دخله النصاري فكتب وقد بلغني
ان الحصن الفلاني دخله النصاري ان شاء الله تعالي فهذه الواقعة التي ذكرها الله تعالي في القرآن بل هي
الحادثة الناهدة باشراط الزمان فانا لله علي هذه المصيبة التي هدت قواعد المسلمين، وابقت في قلوبهم
حسرة الي يوم الدين فلما وصل الكتاب للمامون ضحك حتي وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وقد
تعهدناك منتقيا لامورك، نقادا لصغيرك وكبيرك، فكيف جاز عليك امر هذا الكتاب الابله الجلف
واسندت اليه الكتب عنك دون ان تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه، ورايد عقله خطابه، وما
ادري من اي شي يتعجب منه قبل هل من تعليقه ان شاء الله بالماضي ام من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه
ام من تورعه عن تاويله الا بتوقف عند سماع عن امام ام تهويله لماطرا علي هذا الحصن بخالطه ام من علمه بشان هذا الحصن
الذي لوانه القسطنطينية العظمي مازاد علي عظمه وهو لاشيا ولوان حقيرا يخفي عن علم الله تعالي لخفي عنه هذا
الحصن، ناهيك من صخرة حيث لاماء، ولامرعي منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لايعبره الالص
فاجر، اوقاطع طريق غير متظاهر، حراسه لايتجاوزون الخمسين، ولايرون خبز البر عندهم في بعض السنين
باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمري انه لم يغبن في بيعه، ولاربح ارباب ابتياعه، واراح من الشيء بنسبته هو
والنظر في خداعه، فليت شعري ما الذي عظم في عين هذا الجاهل حتي خطب في امره بما لم يخطب به في حرب
وايل، فلما وقف حريز علي الكتاب كتب لابن ذي النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت
بسواها، وخدمه محمود اولاها واخراها، ولسنا ممن اتسعت مملكته، وعظمت حضرته، فنحتاج الي انتقاء الكتاب
والتحفظ في الخطاب، وانما نحن احلاس ثغور، وكتاب كتايب لاسطور، وان لم يكن الكاتب المذكور لايحسن
فيما يلقيه علي القلم، فانه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم، وله الوفاء الذي تحدث به فلان وفلان، بل سارت
بشانه في اقصي البلاد الركبان، وليس ذلك يقدح عندنا فيه، بل زاده لكونه دالا علي صحة الباطن والسذاجة
في الاكرام والسوية، انتهي ولهذا الكتاب شعر يسقط فيه سقوط الاغبيا، وقد يتنبه فيه تنبيه الاذكيا
فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور مطلعها ⁂ يذكرني بهم العنبر ⁂ وظلم شاداهم سكر
الي ان قال ⁂ ولولا معاليك ياذا الندي ⁂ لماكان في الارض من يشعر ⁂ فلا تنكروا زحاما علي ⁂ ذراك وفي كفك الكوثر
ومشي في موكبه وهم في سفر وكان فصل المطر والطين فجعل فرسه في ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يدا فرسه طينا
جاء في عنق اميره ففطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تقدم فقال معاذ الله اني اسي الادب بالتقدم علي اميري
فقال فان كان ذلك فتاخر مع الخيل فقال مثلي لايزال عن ركابك في مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتني
بما تري يدا فرسك علي من الطين فقال اعز الله الامير يعذرني فوالله ماعلمت ان يدا فرسي تصل الي عنقك فضحك
ابن عكاشة حتي كاد يسقط عن مركوبه وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيي بن يعطف من بني يفرن قد نشا عند
ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود
وكتم حبه زمانا فلم يكتم فكتب له ⁂ ياظبي بالله قل لي ⁂ متي تري في حبالي
بعمري وحالي ⁂ في خيبتي منك حالي ⁂ فكتب له الغلام في ظهر الرقعة
ان كنت ظبيا فانت الهزبر تبغي اغتيالي ⁂ وليس يخطر يوما ⁂ حلول حبل ببالي
ثم كتب بعدها هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم واما بعد فقد جعلت رسني بيد سيدي فعسي ان
يقودني الي ما احب لاما اكره والذي احب ان يكون بيننا من المحبة مايقتضي بدوام الاخلاص ويامن في معتقده من
العار والنقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما علي الصورة التي ذكرها ⁂ ماذا تري في يوم امسي طرزت
حلل السحاب به البروق المذهبه ⁂ وانا وكاسي لاجليس غيره ⁂ ملآن لايخلو الي ان نشربه
والانس ان يسر به متيسر ⁂ ومتي تعقبه فيا ما اصعبه ⁂ فاجابه بقوله
ياما لكا بذ الملوك بعلمه ⁂ وعلا له وعلوه في المرتبه ⁂ واني بذاك فخرت منه جوابه
اذ ما تفضي رتبة مستغربة ⁂ انا اذا انجلو تقول حاسد ⁂ ويعد بهذا الانتقد مذهبه
مني الي يوم تطيش به النهي ⁂ والبعض تنعي والفتي مانسبه ⁂ وهناك فانظر في بعين بصيره
فالنبل يعرف اصله من جربه ⁂ ثم اعلاه الي درجة الوزارة والقيادة الي ان قتل في جيش كان قدمه
عليه فقال فيه من قصيدة ⁂ يا اكرما اغمدته ⁂ عن ناظري الصوارم ⁂ وزعم غيبتها ⁂ من الطيور كمايم
باكوكبا اذ مر اعمي واتي راغم ⁂ بكت علي وشقت ⁂ جيوبهن الغمايم ⁂ قل للحمام اني ⁂ اصبحت نحكي الحمايم
واثر الدمع بهار ايت المزه باسم ⁂ تالله لاالذعيش ⁂ لمترف الك عادم ⁂ ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان
من وادي اش الي علي الميورقي صاحب فتنة افريقية اقبل عليه ثم ولي اخوه يحيي الامارة بعده فاسند جميع اموره
اليه فقال يخاطبه ⁂ اجنا ودرعي ناصري وحسامي ⁂ وعزمي قايدي وامامي

Copyright © King Saud University